قصة الوحدة

لنقل مبدئيا أن الوحدة هي ضد الإلحاق، أسوأ أشكال الانقسام. وأن الأمـة العربية طوال أطوار نشوئها وتقدمها في حضاراتها لم تناد بوحدة إنسانها ووحدة مختلف فروعها فحسب وإنما ارتفعت في مجال التوحيد إلى وحدة الإنسان ووحدة مصيره فقامت فيها ثورات التوحيد طوال نشوئها وتقدمها لتوحد الأمم في الإله العادل. فإذا جئنا إلى وحدة عام 1958 التي قامت بين قطري أمتنـا العربيـة سورية ومصر نجد أن جماهيرنا كانت أحق الجهات بشرف إنجاز تلك الوحدة ولا عبرة لبعض الأقليات المخالفة، فهذه الجماهير نشأت تاريخيا على التوحيـد. لقد كانت الأيام التي تمت فيها الوحدة السورية المصرية أعيادا لا نظير لها في الحياة المعاصرة لأمتنا.. فالشعبان السوري والمصري مثلا استقبلا تلـك الأيـام بأفراح بلغت فيها نفوس الناس ذروة السعادة والارتياح، الأمر الذي يشكل ردا حاسما على كل أولئك الأنانيين الفرديين مدعي التعقل الكـاذب بطـرح أفكـار ظاهرها البريق الخلب وباطنها الإحباط وخيبات الأمل. فإرادة الأمة هي التـي يجب أن تؤخذ بالحسبان وليست حسابات الحاسبين المتآمرين الذين يبحثون عن تأجيل وقوع الصحيح، سيما عندما يكون هذا الصحيح في مصلحة الأمة وضد مصالح أعدائها المستعمرين والصهاينة.

إن كثيرا من الجهات التي ادعت بأنها كانت وراء تلك الوحدة التي تـم إنجازها بين سورية ومصر تفتقر إلى وقائع مادية تثبت دعواها. إلا أن مـن الثابت مثلا أن قيادة الجيش السوري دعت ممثلي مختلف وحدات الجيش إلـى اجتماع في مكتب القائد العام اللواء عفيف البزري ليلة سفر وفد من الـضباط إلى مصر لمطالبة القيادة المصرية بالمجيء إلى تحقيق الوحدة مع مصر وذلك تنفيذا لمبادئ كنت طرحتها أنا الفريق عفيف البزري عندما توليت القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة على ممثلي قطعات الجيش، ويأتي في مقدمة هذه المبادئ ما يلي:

1- المهمة الأساسية للجيشين حماية أرض الوطن من كل عدوان.

2- صيانة استقلال القطر العربي السوري والعمل على إحباط كـل تـآمر يمس هذا الاستقلال.

3- العمل على تحقيق الوحدة العربية بدءا من الوحدة مع القطر المصري.

وكان استقبال الضباط المجتمعين ذلك الطرح بالموافقة بدون تـردد وبكـل حماس. ولكي أمنع كل عمل يعطل هذا الأمر ويعيقه أمرت باستمرار الاجتماع إلى أن تتم الأمور التالية:

1- كتابة رسائل إلى كل من رئيس الجمهورية ورئيس المجلـس النيـابي ورئيس الوزراء ووزير الدفاع بتوقيع القائد العام للجو والقوات المسلحة لطلـب العمل على إتمام أمر الوحدة مع مصر وإبلاغ هذه الجهات أن وفدا من الضباط سيسافر إلى القاهرة فورا لعرض هذا الطلب على القيـادة المـصرية العليـا. فالدستور السوري والقوانين السورية تحض نصا وروحا على العمـل لتحقيـق الوحدة العربية بكل طريقة ممكنة. وكان الإمكان في تلك الليلة واقعا ولا شيء يمنعه إلا النيات السيئة.

2- انتخاب وفد الضباط إلى مصر برئاسة القائد العام اللواء عفيف البزري.

3- تجهيز طائرة تحمل الوفد المذكور فورا إلى مصر.

وقد أبلغ الملحق العسكري المصري العقيد عبد المحسن أبو النـور قـرار الاجتماع وطلب إليه إبلاغ القيادة المصرية العليا أن وفدا سوريا يتجه الليلة إلى القاهرة لعرض قرار الجيش السوري. وقد حاول الضابط المصري المذكور تأخير العملية بكل ما أوتي من قوة إلا أنه قوبل بالرفض وقيل له أن عليه فقط إبلاغ قيادته بما يحصل، وليس عرقلة الأمور، فالطائرة السورية حاملة وفد الـضباط المذكور متوجهة إلى القاهرة حتما.

أما الرسائل بتوقيع القائد العام للجيش والقوات المسلحة إلى المسؤولين فقد حملها العميد أمين النفوري إلى أصحابها في صبيحة اليوم التالي وهي معروفة وليس بوسع أحد إنكار وجودها. كما أنه ليس بوسع أحـد أو أي جهـة مـن الجهات أن تدعي بأنها كانت وراء هذا الأمر من قريب أو بعيد. فظروف أمتنا

في تلك الأثناء كانت هي الوحيدة التي شجعت هذه المسيرة التي انطلقت بكـل يسر وسهولة. ما كان هنالك انقلاب كما يدعي بعض سيئي النيـة والبـسطاء المغرورين وإنما كان إنجاز وطني تقدمي تحقق بالاستناد إلى إرادة الأمة التي أشرنا أعلاه إلى تجليها بأكمل شكل بالأفراح التي قامت في أيام الوحـدة. لـم يستنفر أحد في الجيش في كل تلك الأيام وإنما منع الضباط الذين تقدموا هـذا الأمر وحضروا ذلك الاجتماع من الذهاب حينذاك إلى أهليهم كي لا يشيع الأمر وتصل الأخبار إلى العدو قبل تحرك الطائرة حاملة وفد ضباط الوحـدة إلـى القاهرة. وقد قبل المسؤولون في كل من سورية ومصر طلب الجيش المـذكور في إنجاز الوحدة السورية المصرية كما تقبله عفويا الضباط السوريون عنـدما عرض عليهم الأمر في الاجتماع الآنف الذكر.

وقد انهارت تلك الوحدة، لا بسبب الجماهير ولكن بداهة بـسبب الجـرائم والأخطاء التي ارتكبها المسؤولون عن حفظها وصيانتها من الضياع. أما أعداؤها فإنهم الأعداء وقد حاربوها بكل ما استطاعوا ولكننـا نحـن المـسؤولين عـن ضياعها. والجهات الوحدوية كما هو معروف وواقع ماديا: البعثيون والناصريون وبقية الوحدويين، فقد أتيح لها بدون أي عائق قانوني أو سياسـي إلا عـائق المستعمرين وأذنابهم وكل من يعطي أذنه إلى الأمريكيين والصهاينة، ولكنهم مع ذلك لم يحسموا الأمر كما فعله ضباط الجيش السوري الذين حققوا تلك الوحدة المصرية السورية. وهذا ما يشكل ردا مفحما لكل أولئك الذين تشدقوا بالوحدات المدروسة، إذ ما الذي كان يمنع أولئك الوحدويين في مصر وسورية والعـراق من "دراسة" وحدة لهذه الأقطار غير الواقع الاستعماري الأميركي؟ وقد اعتمـد المستعمرون الأمريكان في فصم الوحدة وفك الحصار عن إسرائيل بمسخ الوحدة وقلبها إلى عكسها بالإلحاق ثم سحقها بالانفصال النفسي الذي نسج خيوطه أولئك الأغبياء الحمقى من المصريين الذين أتوا إلى سورية لإقامة عـرش لفرعـون مصري ثم القضاء عليها بالانفصال المادي.